

## حوار خاص

## في حديث خاص مع «صحيفة العهد»:

## حسام شاكر: «الخطاب الثوري ليس خطاباً تعبويّاً فقط بالمعنى التقليدي، ولكنه خطاب إصلاحيّ يصنع الحدث ويساهم فيه»

العهد - أروي عبد العزيز

مع الأستاذ «حسام شاكر» الباحث والمؤلف والاستشاري الإعلامي.

• مفردات الخطاب الإعلامي في بداية الثورة كانت موحدة، ثم بدأنا نرى تغييرات تحدث لها. وبالمقابل الخطاب الإعلامي لنظام الأسد وبرغم تدخل الميليشيات فيه بقي محافظاً على وحدته. برأيكم ما هي أسباب هذا التحول في خطاب الثورة؟

في الشهور الأولى للثورة اندفعت الجماهير للمدن والبلدات السورية، للمطالبة بشعارات الحرية والكرامة، وكانت الشعارات الجامعة لمعوم أطراف الجماهير هي التي يتم التعبير عنها إعلامياً من خلال ناشطين ميدانيين، مع الوقت نشأت شبكات ونشأت أيضاً مؤسسات إعلامية ونشأت تشكيلات متزايدة في المشهد السياسي السوري، وهذا بالطبع أدى إلى تطوير للخطاب باتجاه تعميقه وتفريعه ولكن مع تراجع وحدة الحال، لأن المرحلة مع اتجاهها إلى العسكرية التي فرضت على الثورة السورية. انتقلت تدريجياً من لحظة براءة الجماهير إلى منطق المواجهة المسلحة.

أيضاً بدأت تظهر مع الوقت تمايزات على الأرض، الرايات أصبحت تتعدد، العناوين أصبحت تتعدد في الميدان، وهذا بكل تأكيد انعكس منطقياً على الخطاب الإعلامي.



حسام شاكر  
باحث ومؤلف واستشاري إعلامي

هو خطاب جهة أحادية، بمعنى هناك وحدة توجيه لخطاب النظام باعتباره نظاماً شمولياً، نظاماً يمسك المشهد بشكل أحادي، وبالمقابل المشهد الثوري ليس جبهة موحدة. هو أساساً عبارة عن تفاعلات موضعية محلية من جانب، وأيضاً متشظية سياسياً وميدانية، بالإضافة إلى معادلة الداخل والخارج، هذا ينتج لنا بكل تأكيد تمايزات في الخطاب نسبيّاً، بالإضافة إلى أن خطاب النظام هو خطاب سلطة، بينما خطاب الثورة هو خطاب جماهير، لهم شبكاتهم، لهم ناشطوهم، وبالتالي متوقع تماماً أن يكون عندنا تنوع وتعددية في مشهد خطاب الثورة.

أصبحت هناك خطابات وليس خطاب إعلامي عام سائد. لا بد أن نلاحظ أيضاً أن لحظة الأمل التي بزغت في مشهد ٢٠١١م أخذت تضمحل تدريجياً خاصة مع انكفاء الثورات العربية أو الهبات الجماهيرية العربية تدريجياً. كان لهذا انعكاسه أيضاً، بمعنى أن مشهد الجماهير في الميدان وخطاباتها وهتافاتاها أصبحت تتراجع لصالح مشاهد مسلحة، وبالطبع هذا له انعكاسه على الخطاب الإعلامي. في تقديري خطاب نظام الأسد نفسه شهد شيئاً من التحول النسبي، لكنه حافظ على مقولاته الأساسية. ولنلاحظ تماماً أن خطاب نظام الأسد

كُتِبَ لثورة الحرية والكرامة عندما انطلقت في ٢٠١١م لتمزّق ظلاماً دامساً عاشه السوريون، ومُخَيِّماً على جميع نواحي الحياة، أن تمتد لتخطم قيود الخطاب الإعلامي لنظام الأسد، والذي رزح السوريون تحت وطأة مفرداته الأحادية لسنوات طويلة.

وهنا، كان لأصحاب الميدان خطابهم الثوري المتحرّر من قيود الأسد ونظامه، وهتافاتهم التي علت في سماء سورية، لتعانق أحلامهم الوليدة مع ولادة الثورة المباركة، والتي تناقلت أخبارها وسائل الإعلام العربية والأجنبية.

لكن الميدان الإعلامي، كان له نصيبه من الصراعات، كما هو الحال في الميدانين العسكري والسياسي اللذين كان لهما الأثر الكبير على الميدان الإعلامي وخطابه الثوري. ثورة أم حرب أهلية؟! شهادة أم قتلى؟! صراع المصطلحات الذي امتد إلى وسائل الإعلام العربية. لتتفرّق المصطلحات وتتشتّب، متجاوزة بذلك سقف الواقع في الثورة السورية.

ونحن اليوم في «صحيفة العهد» فقد حاولنا الاقترب من هذا الميدان منذ أن امتدت إليه الثورة، لنسلط الضوء على أهم المفاصل في الخطاب الإعلامي للثورة السورية، والتغييرات التي طرأت عليه، بالإضافة لمحاوّر أخرى مهمة، وذلك من خلال حوارنا الخاص

## معتقدات جماعية تحت اسم «مراكز إيواء»

العهد - ضياء الشامي



هكذا ينتقم نظام الأسد من سكان الغوطة

ضمن مراكز خاصة يشرف عليها جنود روس، ويذكر أن ممثل أنشطة الأمم المتحدة في سوريا علي الزعتري صرح قبل أيام أن الوضع مأساوي في مراكز الإيواء، مشيراً إلى أن الناس هربوا من قتال وكاف وعدم أمن، لكنهم وجدوا أنفسهم في مخوف لا يجدون فيه مكاناً للاستحمام، ورأى الزعتري أن الحل الوحيد هو تفريغ هذه الملاجئ من السكان بأسرع وقت ممكن وإبقاء السكان داخل الغوطة الشرقية، معتبراً أن إسهال المساعدات للمدنيين في منازلهم أسهل من الإتيان بهم إلى هذه الأماكن العامة.

وتشير الكثير من الأخبار الواردة من دمشق إلى أن أغلب المتواجدين في مراكز الإيواء ممنوعون من الخروج، حيث صدرت بعض الشروط الخاصة التي تسمح للأسر المكونة من النساء والأطفال دون سن الخامسة عشرة بمغادرة مراكز الإيواء في حال وجود كفيف من سكان دمشق، في حين يمنع على كل الذكور فوق سن ١٥ من المغادرة سواء قاموا بتسوية أوضاعهم أم لا، كما تواردت أنباء عن اعتقال العديد من الشباب والرجال بين عمر ١٨-٥٠ عاماً بجهة التحقيقات الأمنية، في حين أظهرت صور نشرت مواقع موالية للأسد احتجاز عشرات الشباب

لنظمة الهلال الأحمر والصليب الأحمر بالدخول والمساعدة بنقل المهجّرين وتقدير أعدادهم. وأكد الصالحاني أن الجمعية الوحيدة الرسمية التي تعمل في مراكز الإيواء هي الأمانة السورية للتنمية التي تتبع إدارتها لأسماء الأسد والتي مهمتها متابعة بعض الأمور القانونية المتعلقة بتسجيل المواليد وطلبات الحصول على دفتر العائلة، وتوثيق الزواج، دون أي متطلبات أو وثائق شخصية أو حتى شهود.

وقال الصالحاني: «الوضع الإنساني في مراكز الإيواء كارثي والاحتياجات أكبر من كل ما تملكه الجمعيات وما يتبرع به المواطنون، فنظراً للضغط الكبير لا تستطيع المنظمات أن تقدم أكثر من وجبة يومية للشخص الواحد، أغلب الأطفال يعانون من سوء التغذية، كما أن وضع الأطفال محزن للغاية، فالكثير منهم يتعرف على أشكال بعض الفواكه للمرة الأولى، وبعض الأطفال أكل الموز بقشره، وبعضهم رأى البرتقال لأول مرة، فيما تعجب البقية من لون وطعم الخبز الأبيض، فقد اعتادوا على خبز الشعير».

ويتابع الصالحاني: «وضع العجائز والمرضى صعب جداً، لا توجد رعاية طبية، وخاصة أن أغلب المهجّرين يحملون العديد من الأمراض وخاصة الأمراض الجلدية التي نتجت عن مكوثهم في الملاجئ الرطبة لأكثر من ٣٥ يوماً دون وجود مياه نظيفة أو صرف صحي جيد أو فرصة لتبديل الملابس أو الاستحمام، هناك الكثير من حالات التهاب الكبد من نوع C، والعديد من الجرحى الذين يحتاجون إلى متابعة وعلاج».

تحت ضغط القصف الرهيب، والأسلحة المختلفة الحارقة والمتفجرة التي هزت أركان مدينة دمشق، خرج الآلاف من سكان الغوطة باتجاه المعابر التي فتحتها نظام الأسد، في محاولة أخيرة للنجاة من الموت إلى الموت، استغلها إعلام الأسد للترويج لفكرة انتصاره، وذلك بالتركيز على صور المحاصرين الهاربين من جيوش القصف وهم يؤدون فروض الطاعة والولاء هاتفين له، مؤيدين لروايته.

ورغم الإعلان المتكرر عن وصول سكان الغوطة إلى مناطق آمنة، تم نقلهم إلى مراكز إيواء أشبه بمعسكرات اعتقال جماعي مكتظة غير مخدمة، تنفد للخدمات الأساسية من مرافق صحية، ومياه نظيفة، بعد أن منعهم نظام الأسد من الدخول إلى العاصمة وفرض عليهم شروطاً تعجيزية، من أجل الانتقام منهم ولايتزامهم وسلب ما بقي معهم ومع عائلاتهم من ممتلكات. وأشار الناشط من مدينة دمشق محمد الصالحاني في تصريح خاص لـ «صحيفة العهد» إلى أن نظام الأسد جمع الآن من سكان الغوطة في مراكز إيواء غير مجهزة في كل من عدرا وجسر بغداد وخرجلة وصالة الفيحاء ومدارس عدرا البلد، دون أن يقدم لهم أي خدمات صحية أو طبية أو غذائية، بل منع العديد من المنظمات المدنية التي كانت تجهز لتقديم الخدمات لهم من الدخول إلى تلك المراكز أو تقديم أي مساعدات حتى الـ ٢٠ من شهر آذار بجهة تنظيم العمل، حيث سمح فقط



## تتمة الحوار الخاص

## حسام شاكر: «الخطاب الثوري ليس خطاباً تعبويّاً فقط بالمعنى التقليدي، ولكنه خطاب إصلاحيّ يصنع الحدث ويساهم فيه»



جانب من التظاهرات خلال الثورة السورية

حتى هذه اللحظة لا يوجد تناول إعلامي كافٍ لبيان حقيقة ما وقع على الشعب السوري من المظالم، والخذلان هو عامل أساسي جداً في صناعة هذا المشهد.

لكن أيضاً لا بد أن نلاحظ أن الإدارة الإعلامية للثورة السورية في محطاتها المتعددة، كانت إدارة تلحق الأحداث غالباً ولا تستيقظها. الصناعة الإعلامية ذاتها لم تكن صناعة مستقلة عن القاع السياسي والميداني المتشظي في أساسه، وكان متأرجحاً وفق معطيات السياسة والميدان، وبالتالي جاء الأداء الإعلامي مرتبباً على هذه الحال السياسية والإعلامية.

طبعاً هناك ملامح لا بد أن نلاحظها، وهو أنه نبذة النقد اللاذع أصبحت واضحة في المشهد العام السوري في مواقع التواصل الاجتماعي، وهي الميدان الأهم هنا في هذا الضمّان.

هناك نبذة نقد لأذاعة تصعيد لنقل أو تطارد بعض المواقع والتصريحات هنا أو هناك، وحينها تنشأ موجات من النقد والنقمة على سياسي أو تصريح هنا أو صورة هناك. هذه الحالة التي بدأت تبرز في آخر سنتين بشكل واضح في المشهد السوري، هي تعبير عن حالة تفريغ لشحنة ما موجودة في المشهد الشعبي، والبحث عن فريسة يتم تفريغ الإحباطات الجاعية فيها، بحيث يتصور المرء أن هذا الموقف هو المشكلة التي تسبب بكل خسائرنّا.

أعتقد أن الإعلام لم يكن قائماً بدوره كما ينبغي في تناول المشهد، بالعكس كثيراً من صانعي الإعلام كانوا ينساقون في جولة تسخين، بمعنى أنهم يلحون الجماهير ويتملقون روح النقمة القائمة، فينخرطون لكسب الهجمات في مواقع التواصل الاجتماعي في الزيادة على تصريحات وتعبيرات تبدو لي متشنجة، بدل أن يكون لهم دور ريادي في التوعية، والارتقاء في الوعي العام، وهذا إشكال لا بد أن يُعترف به.

المشكلة هي فصائل وجماعات مسلحة. وهنا نعود مرة ثانية لفكرة أن إدارة المشهد السياسي والميداني، كان لها تأثير مباشر على التناول الإعلامي وتفاعلاته اللاحقة.

لكن لا بد أن نكون واضحين بأن غياب القرار السياسي الموحد لاعتبارات مفهومة تماماً، وتشظي الميدان واقتراعه، ميدان الثورة من حيث التشكيلات والفصائل، سمح للخطاب الآخر أو خطاب نظام الأسد أن يتمدد، وأضعف الثقة إعلامياً بمشروع الثورة وبحضورها. وأتصور أن هذا ينبغي أن يُعترف به.

• باتمام الثورة السورية سبع سنوات، من انتصر في الحرب الإعلامية برايكيم.. الثوار أم النظام وحلفائه؟

من الصعب الحديث عن طرف منتصر هنا، لكن المسألة تُفاس نسبيّاً، بمعنى لا يمكن أن ينتصر من سحق الأطفال ودمّر المدن والبلدات بالشكل المرعب والبشع على مرأى ومسمع من العالم، لا يمكن أن يكون هو المنتصر في هذه الجولة.

ولكنه بالقياس إلى برنامجه هو، فإنه أنجز بمنظوره وحقق ما كان يصبو إليه. وأن كل من سقطوا تم إخراجهم عن التعريف. بمعنى نلاحظ الحديث عن إرهابيين وعائلاتهم، وليس الحديث عن شعب.

هنا في خطاب نظام الأسد، يتم إخراج الشعب من مفهوم الشعب ذاته. أيضاً يتم نزع الصفة الإنسانية عنهم. لأن لفظة الإرهابيين تعني هي رأس الشرور في عالمنا اليوم وتبيح اقتراح الفضائح بحق من تُلصق به.

بمنطقه هو فقد انتصر إعلامياً، ولكن بالمنطق الموضوعي ليس هناك منتصر في المشهد حتى الآن. وفي تقديرٍ إن جاز لنا أن نقول: أين هي المعادلة الغائبة في المشهد السوري؟ هي معادلة الخذلان.

الشعب السوري تم خذله بشكل مؤكد ولم يتم حتى الآن إبراز هذه الحقيقة بأنه خذل وترك وحيداً، وكان لهذا تأثيره في السياسة والميدان، وتأثيره في الإعلام أيضاً.

◆◆◆  
هناك تراجعاً عن المفردات التي تم اعتمادها حتى في وسائل الإعلام، بدت داعمة للثورة السورية في السنوات الأولى، هذا التراجع هو فرع عن موقف سياسي ونظرة لتطورات الأحداث.

سنوات مضت فيها مخاضات أليمة. هنا لا بد أن يكون للإعلام دوره. وبالتالي الإعلام لا يصح أن يكون هنا مقطوعة. بل أن يكون رائداً ودافعاً وطيئياً، لكي يُعيد تقييم الحالة أولاً بأول. ولكي أيضاً يصل إلى توافقات، نحن بحاجة إلى التزام ومسؤولية، وهنا الخطاب الثوري ليس خطاباً تعبويّاً فقط بالمعنى التقليدي، ولكنه خطاب بناء وإصلاحي، وخطاب أيضاً يصنع الحدث ويساهم فيه.

• استطاع إعلام الثورة على مفردات سبع سنوات تغيير نظام الأسد. هل ثرون أن هناك «صراع إعلامي» بين مؤسسات الثورة والإعلام العربي حول الإقرار بالمفردات الإعلامية للثورة؟

بالطبع هناك صراع إعلامي، لكن الأهم في هذا تحويل الإشكال، وإعادة فهم المعضلة في سورية بأنها معضلة استبداد. لكي تصبح معضلة تشكيلات مسلحة، وهنا التحدي الكبير. وفي تقديرٍ هنا جاء في صميم الاشتباك الإعلامي بين مدرسة النظام وغير ذلك.

وهنا تحديد الفصل، بأنه تم بالفعل في بعض وسائل الإعلام العربية التبني النسبي لفكرة أن

إنتاج ذاتها إلى تشكيلات متمترسة بمواقع بعنوانين بلافتات. فطفتو اللحظة الثورية ربما لصالح مواجهات ربما لا تكون لها مشروع. والأخطر هنا ألا يلاحظ أن هناك مشروعاً للثورة. بمعنى اللافتات التي تمسك اليوم الميدان بمساحات واسعة لم تقدم للشعب السوري اليوم مشروع الثورة كما كان ابتداءً، وهذا له انعكاس على نظرة المتناولين للملف. اليوم لو حاولنا أن نرصد خطاب التشكيلات الميدانية المسلحة الأساسية، لو حيدنا الجيش السوري الحر هنا وحضرنا بالعناوين الموجودة سنلاحظ أن الخطاب ليس هو متطابقاً مع خطاب المشهد الثوري الأول الابتدائي. أصبحنا إزاء خطابات متعددة، ملتبسة، وأيضاً دخلت فيها أجندات ليست ملتزمة بالموقف الشعبي الثوري كما نشأ وكما تطور في بواكيره على الأقل.

• ما هو الخط الفاصل بين الخطاب الإعلامي الموضوعي، والثوري؟

الموضوعية هي إشكالية ابتداءً، بمعنى أن الموضوعية تبقى نسبية، والتحيزات كامنة وقائمة وملحوظة حتى ضمن مساحات الإعلام الموضوعي والذي يفترض أنها ليست أبواق دعائية. لكننا اليوم نتحدث عن إعلام يغطي تحيزات واضحة بمفردات تتبدل من حين لآخر ضمن عباءة الموضوعية المرفوعة. واعتقد هنا أن الموضوعية متراجعة في العالم العربي لحد كبير إعلامياً خاصة منذ ٢٠١١م. لكن فيما يتعلق بالخطاب الثوري، هنا إعلام الأدوات المباشرة للثورة، إعلام مواقع التواصل الاجتماعي، إعلام الفصائل، ينبغي أن يحافظ على خطابه، الخطاب الذي ينطلق من رؤاه الخاصة.

عندما تريد الأطر والتشكيلات والناشطين يريدون أن يتابعوا أخبارهم وتقاريرهم كما يتم تناولها إعلامياً، سوف يتوقعون أو عليهم أن يتوقعوا إعادة إنتاج مقولاتهم بطريقة تبدو أقرب للتناول الإخباري، الذي يترك مسافة بين الخطاب ومفرداته. كما تنطلق من مصادرها الثورية أو كما يتم تناولها إخبارياً. تبقى هناك مسافة، وهذه مسافة موضوعية ولو كانت مزعومة. إنما لا بد في حالة شعب يضحى ويقدم، لا بد أن يكون الخطاب المعبر عن الالتزام الثوري حاضراً ودون تراجع.

لا بد أن ندرك أن الخطاب الثوري عليه أن يكون يقطاً. ليس خطاب دعائية سطحية، وليس خطاب تعبئة نمطي، كما كان عليه الحال منذ عقود مضت. نحن نتحدث عن خطاب يقط، خطاب يعالج الإشكالات، خطاب إصلاحي أيضاً، تطهيري في الداخل. خطاب يستطيع أن يرصد الظواهر المقيتة التي من الممكن أن تنشأ في مجتمع ثوري وفي أي ميدان. وفي أي حالة سياسية، ويتصدر لها خطاب مشتبك مع الحالات والظواهر الخطرة أو السلبية. وخطاب أيضاً يرقى بالوعي العام، بمعنى خطاب توعوي.

إعادة إنتاج الخطاب بشكل يستحضر الدروس والعبر من سبع

... تقديري أن الإعلام الثوري لم يكن يقطاً في الوقت المناسب في التعامل مع الحالات التي اضطر لاحقاً لمواجهتها. بمعنى حالة تنظيم الدولة كمثال في بواكيرها مثلاً. بعض التشكيلات، بعض الاتجاهات التي نشأت في المشهد الميداني. وغير ذلك من الحالات التي لم يتم التعامل معها، كانت هناك ثقافة بأنه ينبغي عدم فتح ملفات كهذه لكن فيما بعد حصل اندفاع متأخر لتناول هذه الملفات دفعة واحدة بعد أن كان الوقت قد مضى.

هذا مثال للمأزق، بمعنى التصور أنه بالإمكان تجاوز بعض الأخطاء هنا وهناك، وغض الطرف عنها. في تقديرٍ كان إشكالاً بحد ذاته أورك المشهد عموماً عدم قدرة على التطهير الذاتي، وأدى إلى تشجيع ممارسات مارقة من الالتزام الثوري، من الالتزام القيمي، والمبدئي وأيضاً مشاهد وأوضاع لم تكن ترقى لتضحيات الشعب وثورته.

• هناك وسائل إعلام عربية حتى اليوم تعطي الشرعية للأسد بتسميته «الرئيس السوري». وتطلق على الثورة السورية اسم «صراع أو أزمة أو حتى حرب أهلية». برايكيم هل من الصحيح فرض لغة ومفردات إعلامية للثورة السورية على الإعلام العربي أم لا؟

من المهم أن نلاحظ بأن وسائل الإعلام ليست على حالة واحدة، هناك اتجاهات وخط تحريكي لكل منها، هناك خط عام للدول الراعية لنقل لوسائل الإعلام المتعددة هنا. إنما لا بد أن نلاحظ بأن هناك تراجعاً عن المفردات التي تم اعتمادها حتى في وسائل الإعلام، بدت داعمة للثورة السورية في السنوات الأولى، هذا التراجع هو فرع عن موقف سياسي ونظرة لتطورات الأحداث.

وفكرة فرض المفردات على وسائل الإعلام ليست واردة. بمعنى أن المفردات تنفقي بعناية ضمن دليل استخدامي لكل جهة إعلامية من الصعب الحديث عن فرض مثل هذا، لكن المؤكد أنه ضمن الخط التحريكي لكل وسيلة إعلام هناك فرض لمعايير ضمنا، ومصطلحات ومفردات تعبر بحد ذاتها عن اصطلاحات، عن موقف، عن منظور في تناول القضية، ربما من محاولة للحياح إن جاز التعبير، ومحاولة الحياح هنا قد تعني موقفاً سلبياً فيما يتعلق بالشاهد الثوري.

أعتقد أن الأخطر فيما جرى ويجري انطفاء صورة اللحظة الثورية من المشهد السوري، تحوله في التناول الإخباري والإعلامي إلى أنه حرب أهلية أو صراع داخلي، وهذه الصورة التي تستند إلى معطيات ميدانية. بمعنى أن استمرار مواجهات ذات طابع مسلح في بلد ما، سنة بعد سنة، يغلب مع الوقت النظر إليها أنها حرب أهلية. نحن نعلم أن نظرة الحرب الأهلية ليست لفظة محايدة هنا، ليست معبرة عن مشهد ثوري، لكن في الوقت ذاته نعلم أن اللحظة الثورية ذاتها مع الوقت تكون قد بدأت تعيد



## عن الصحيفة

صحيفة رسمية تصدر عن  
المكتب الإعلامي لجماعة  
الإخوان المسلمين  
---  
دار العهد للنشر والتوزيع

## هيئة التحرير

رئيس التحرير  
عمر مشوح

نائب رئيس التحرير  
أروى عبد العزيز

نائب رئيس التحرير  
هانى كريم

مساعد رئيس التحرير  
ضياء الشامي

سكرتير التحرير  
زاهر فخري

الهيئة الاستشارية  
أ. محمد عادل فارس

مُنسّق التّوزيع  
أسعد الرّعد

تصميم وإخراج  
عبدالله ديب

الشبكات الاجتماعية  
عائشة فخري  
رانيا زيزان

## تواصل معنا

www.al3ahdnewspaper.com

info@al3ahdnewspaper.com

al3ahdnewspaper

الآراء المتضمنة في  
المقالات المنشورة تعبر  
عن وجهة نظر كاتبها،  
ولا تعبر بالضرورة عن  
رأي صحيفة العهد.

# يا علماء الإسلام



أ. محمد عادل فارس

والفئة الرابعة: وهي الملحقة  
ببعض العلوم الشرعية، ويسخرون  
علمهم في الطعن بالإسلام،  
والتشكيك في السنة النبوية وفي  
صلاح هذا الدين لحكم الحياة في  
القرن العشرين أو القرن الحادي  
والعشرين... وهؤلاء «العلماء» ممن  
لا يصحون ولا يوصمون، ويأخذون  
«أجرهم» من بعض الدوائر  
الاستخباراتية، وقد يترفعون على  
كراسي علمية، يُشرفون بها على  
منح شهادات الماجستير والدكتوراة  
في بعض العلوم الشرعية.

بل لا يُفُتد أن تُعَدَّ من هؤلاء  
بعض المستشرقين ممن لا ينتسب  
إلى الإسلام، ولو في الظاهر، بل قد  
يتحلّى بعض المستشرقين بالإنصاف،  
مما لا يتمتع به أفراد هذه الفئة.

وغني عن البيان أن أفراد كل  
فئة من الفئات يتفاوتون في درجات  
العلم والجرأة والزهادة والقصاحة  
والبيان... وأن هذا التقسيم ليس  
حذياً، فقد تجد عالماً من إحدى الفئات  
وفيه بعض صفات علماء فئة أخرى.

والآن أبداً بخطاب علماء الفئة  
الأولى، فهم الأكثر عدداً، والأكثر  
قبولاً عند عموم الناس، وهم الذين  
نحسب أنهم الأقرب إلى الله تعالى.  
يا علماء الإسلام، أنتم أمل  
الأمة، وحاملو لواء العلم فيها، فاتقوا  
الله فيما حثلكم من أمانة. ولعل  
أهم ما ينبغي أن تحرصوا عليه:

- أن تراقبوا الله تعالى فيما  
تقولون، وفيما تفعلون، وفيما  
تدعون إليه، وفيما تدعون.  
- أن تكونوا مثلاً في التزام  
أحكام الإسلام، بقدر استطاعتكم،  
في سلوككم وفي سلوك أهليكم،  
فالناس لكم تبع في ذلك، وأنتم  
في نظرم حجة للإسلام إن أثبتتم  
الله، وحجة عليه إن خالفتموهم إلى  
ما تنهونهم عنه، وكما قيل:  
يا رجال الدين يا ملح البلد ما  
يُصلح الملح إذا الملح فُسد؟  
- أن تبدلوا جهركم في نشر  
الإسلام وعلومه، وفق ما كان عليه  
جمهور علماء الأمة في مختلف أجيالها،  
مع تجنب أسباب الشقاق والخلاف،  
سواء في فروع العقيدة أو في  
فروع الفقه، فليس من الخير إثارة

عندما أريد أن أخطب علماء  
الإسلام أواجِبُ إشكالاً في تحديد  
مفهوم «العلماء». فهل علماء  
الإسلام هم خطباء المساجد، أم خُلَّة  
شهادات المعاهد الشرعية وكليات  
الشرعية، أم هم أساتذة كليات  
الشرعية؟ أم هم المعروفون بين  
الناس بأنهم شيوخ وعلماء؟! وأياً ما  
اخترنا من تعريف فسند عليه قيوداً  
واستدراكات، ونجد له استثناءات،  
وتسهيلاً للأمر سنُعَدُّ كل من  
يُعرف بين الناس أنه شيخ أو عالم،  
مقصوداً في الخطاب. وأرى من  
المناسب أن نُلجئ بهم فئة ليست  
منهم وإنما يجمعها بهم العلم  
بالشرعية، على نحو من الأنداء،  
مثلاً عَرَف علماء الحديث السنة  
بأنها: كل ما أُضيف إلى النبي صلى  
الله عليه وسلم من قول أو فعل  
أو تقرير أو صفة، ثم الحقوا بها  
الموقوف والمقطوع، وهما من قول  
الصحابي وفعله، وقول التابعي،  
وهذان ليسا مما أُضيف للنبي صلى  
الله عليه وسلم.

وعليه فساقسم العلماء إلى  
ثلاث فئات، ثم فئة ملحقّة بهم،  
الفئة الأولى: وهي تشمل  
معظم العلماء، وتضم من كان زاده  
من العلم وافرأ، وغلب عليه الصلاح  
والاستقامة، وعنده درجة من الوعي  
والجرأة في قول الحق.

والفئة الثانية: وهي تشبه الفئة  
الأولى في كثير من الصفات، لكنها  
تؤثر السلامة فتسكت عما يُغضب  
السلطان وأصحاب النفوذ، وتكتفي  
بالمواعظ الحسنة، وبيان مزايا  
هذا الدين وبعض أحكامه، وكثير  
من الرقائق ووجوه إعجاز القرآن  
وبلاغته... لكنها لا تصل إلى درجة  
التمسّق والمداهنة والنفاق.

والفئة الثالثة: وهي فئة ضئيلة  
العدد، عظيمة الضرر والفئة، باعت  
دينها بقرصن من الدنيا، ورضيت  
لنفسها أن تكون مطيّة للظالمين،  
تُرزن أعمالهم، وتلتصق الجحج  
الشرعية لمظالمهم، وتصف المؤمنين  
الذين يقرعون الظلم بأنهم بغاة أو  
خارج أو أعداء للوطن، وأن جباههم  
لم تعرف السجود لله!

وأفراد هذه الفئة مرشحون، أكثر  
من غيرهم، لشغل منصب وزير  
الأوقاف أو مفتي الجمهورية... أو  
لتقديم حلقات تلفزيونية.

أتوب عليهم، وأنا التواب الرحيم).  
(سورة البقرة: ١٥٩ و ١٦٠).  
ولعل بعضكم يشور ويتعصب  
ويجهد في إيراد الأدلة على جواز،  
أو على منع، الاحتفال بالمولد  
النبوي، وعلى مشروعية المسح  
على الجوربين، وعلى جمع الصلوات  
بعذر المطر، أو على عدم جواز هذا  
أو ذلك... لكنه يسكت عن محاربة  
الدعاة إلى الله، وعن سجنهم أو  
تشريدتهم، وعن قصف الأمنيين  
بالبالميل المتفجرة والقنابل الحارقة...  
لأن الحديث في هذه الشؤون وفي  
إشاعة الكيِّار التي ذكرناها قبل  
قليل، هو من السياسة التي لا يليق  
بعلم الدين أن يتدخل بها!!.

وندائي إلى الفئة الثالثة: أكون  
إرضاء الحاكم عندكم أهم من  
إرضاء الله؟! بل أتجوزون إرضاء  
بسطط الله؟! لقد كان علماء الأمة  
يحذرون من التقرب إلى السلطان،  
حين كان السلطان كهارون الرشيد،  
فكيف إذا كان السلطان لا يحتكم إلى  
شرع الله؟! وما أجل ما كتب الإمام  
عبد الله بن المبارك لإسماعيل بن  
غُثَيَّة، حين وُلِّي ابن غُثَيَّة القضاء؟  
كتب له أبياتاً فيها:

يا جاعل العلم له بازيأ  
يصطاد أموال المساكين

أين رواياتك في سردها  
لتترك أبواب السلاطين

إن قلت: أكرهت فهذا باطل  
زل حمار العلم في الطين

وندائي إلى الفئتين معاً الثالثة  
والرابعة (الملحقة بالعلماء):  
أدعوكم إلى مراجعة ما أنتم  
عليه، والعودة إلى الله تعالى، وإلى  
التوبة وبيان الحق، وأن تذكروا  
أنكم واقفون يوماً بين يدي الله،  
يوم لا ينفعكم سلاطينكم، يوم  
تقولون لهم: (إنّا كنّا لكم تبعاً  
فهل أنتم مُغنون عَنّا من عذاب  
الله من شيء؟).

وإنكم قد علمتم من الإسلام  
ما تقوم به الحجة عليكم، فهلاً  
اهتديتم؟ وهلاً عملتم بما علمتم؟  
نسأل الله الهداية لنا ولكم.

أوهام انتصار الأسد الهزيل  
بعضلات سيّده بوتين



كاريكاتير عالمي  
رسم موفق قات